185 - ـ فصل : ملاطفة الأعداء حتى التمكن منهم .

ينبغي أن يكون شغل العاقل النظر في العواقب و التحرز مما يمكن أن يكون .

و من الغلط النظر في الحالة الحاضرة الموافقة لمعاشه و لصحة بدنه و ربما لا يجري له مصحوبة فينبغي أن يعمل على انقطاع ذلك فيكون مستعدا لتغير الأحوال .

كذلك النظر في لذة تفنى و تبقى تبعتها و عارها و إيثار الكسل و الدعة لما يجيء بعدهما من بقاء الجهل .

و كذلك تحصيل المرادات التي لا تحصل إلا بالتلطف في الاحتيال خصوصا إذا أريد من ذكي فإنه يفطن بأقل تلويح .

فمن أراد غلبة الذكي دقق النظر و تلطف في الاحتيال .

و قد ذكر في كتب الحيل ما يشحذ الخواطر و أتينا بجملة منه في كتاب الأذكياء .

مثلما روي أن رجلا من الأشراف كان لا يقوم لأحد و لا يخشى أحدا فجاز عليه بعض الوزراء و حي فلم يرد و لم يقم .

فقال ذاك الوزير لرجل : أخبر فلانا أني قد كلمت أمير المؤمنين في حقه و قد أمر له بمائة ألف فليحضر ليقبضها فأخبره ذلك الرجل .

فقال الشريف : إن كان أمر لي بشيء فلينفذه لي و إنما مقصوده أن يضع مني بالتردد عليه .

فمتى وقع الإنسان مع ذكي فينبغي أن يتحرز منه [كما ينظر صاحب الرقعة النقلات] .

و كثير من الأذكياء لم يقدروا على أغراضهم من ذكي فاعطوه و بالغوا في إكرامه ليصيدوه فإن كان قليل الفطنة وقع في الشرك و إن كان أقوى منهم ذكاء علم أن تحت هذه النية خبيئا فزاده ذلك احترازا .

و أقوى ما ينبغي أن يكون الاحتراز من موتور فإنك إذا آذيت شخصا فقد غرست في قلبه عداوة فلا تأمن تفريع تلك الشجرة و لا تلتفت إلى ما يظهر من ود و إن حلف فإن قاربته فكن مكنه على حذر .

و من التغفل أن تعاقب شخصا أو تسيء إليه إساءة عظيمة و تعلم أن مثل ذلك يجدد الحقد فتراه ذليلا لك طائعا تائبا مقلعا عما فعل فتعود فتستطيبه و تنسى ما فعلت و تظن أنه قد انمحى من قلبه ما أسلفت .

فربما عمل لك المحن و نصب لك المكايد كما جرى لقصير مع الزباء و أخباره معروفة .

فإياك أن تساكن من آذيته بل إن كان و لا بد فمن خارج فما تؤمن الأحقاد .

و متى رأيت عدوك فيه غفلة لا يثنيه مثل هذا فأحسن إليه فإنه ينسى عداوتك و لا يظن أنك قد أضمرت له جزاء على قبح فعله فحينئذ تقدر على بلوغ كل غرض منه .

و من الخور إظهار العداوة للعدو و من أحسن التدبير التلطف باللأعداء إلى أن يمكن كسر شوكتهم و لو لم يمكن ذاك كان اللطف سببا في كف أكفهم عن الأذى و فيهم من يستحي لحسن فعلك فيتغير قلبه لك .

و قد كان جماعة من السلف إذا بلغهم أن رجلا قد شتمهم أهدوا إليه و أعطوه فهم بالعاجل يكفوه شره و يحتالون في تقليب قلبه و يقع ذلك لهم مهلة لتدبير الحيل عليه إن أرادوا .

و كفى بالذهن الناظر إلى العواقب و التأمل لكل ممكن مؤدبا